

مُنَمَّاتٍ موسيقية. وعليه، اتخذنا أربعة نصوص مفتوحة في شكل نُثْرَاتٍ [مقطوعات نثرية وجيزة]. عبارة للأجناس الأدبية، من المجموعة الوحيدة التي أنشأها ونشرها كأكفا كتاباً مُكْتَمَلًا: نظرة [1912]. ومن غريب الأطوار أنه طلب من الناشر سحبها من السوق فور صدورها. رغم أنها صدرت في نسخ لا تتجاوز الأربعمئة، يليها قسم خاص بالأقاصيص، فشذرات يوميات. ثم توقيعات كان يرد لها كأكفا قافلات خاصة من الحجم المدرسي ترافقه في حله وترحاله



عليها بصلاية إلا لتقذف بها أبعد. لكن الطريق تقود أيضاً نحو هذا الأبعد.

المخابي لا تعد ولا تحصى. أما الخلاص فواحد، لكن إمكانات الخلاص بعدد المخابي.

ثمة هدف، ولكن لا طريق، ما نسميه طريقاً، هو محض حيرة.

في الصراع بينك وبين العالم، أعين العالم.

ليس ضرورياً أن تخرج من بيتك، لازم طاولتك وأسمع. لا، لا تسمع، اكتف بالانتظار. بل حتى الانتظار اتركه، ابق هادئاً ووحيداً. سبهك العالم نفسه كي تنزع عنه قناعه؛ ليس في وسعه غير ذلك. ولسوف يتمرغ، بانتشاء، عند قدميك.

زنانتي - حضني.

الطييون يمشون بنفس وتيرة الخطوات. أما الآخرون - ودون أن يدركوا عنهم شيئاً - فيرقصون من حولهم رقصات الزمن.

أبدأ، أبدأ لن تعود للمدن، أبدأ لن يجلب الناقد من فوقك.

كان صُؤَانُ أذني ناعم الملمس، خشنه، رطبه، ولذيذ كورقة.

ذات يوم، انكسرت ساقي، كانت تلك أجمل تجربة في حياتي.

للحظة، أحسستني مدرعاً.

على عكازة بالزك: أحطم كل الحواجز. على عكازتي: كل الحواجز تحطمني. النقطة المشتركة هي الكل.

لن أدع الملل ينسرب إلي. سأقفز وسط قصتي القصيرة، حتى لو كلفني ذلك تفرق وجهي.

كانت الزهرة، حاملة، عالقة بساقها السامق. وكان الغسق يحيط بها.

النك كعقوبة لسعادة أننا معاً.

أنا قدر، يا ملينا، قدر للغاية، لذلك أثير كثيراً من اللغظ حول الطهارة. لا أحد يتغنى بطريقة طاهرة أكثر من أولئك الغائصين في أعماق أعماق الجحيم؛ فما نطله غناء الملائكة، ما هو في الأصل إلا غناؤهم من رسالة إلى ملينا.

الدائرة المحدودة خالصة.

مندھشين، رأينا الحصان الضخم. اخترق سقف غرفتنا. وكانت السماء الغائمة تتمدد بوهن على طول أثره القوي، أما عرفه فكان يدوي وهو يطير مع الريح.

عينا في عيني فتاة صغيرة، وكانت قصة حب طويلة، فيها رعد، قُبْلٌ وُبُرُوقٌ. أحيا حياتي في عَجَلٍ.

الآن، مساء، بعد أن انغمست في الدراسة منذ السادسة صباحاً، أرى يدي اليسرى تمسك لبرهة، إشفاقاً، اليد اليمنى من الأصابع.

لا يمكنني.. حقاً أن أحكي، ولا حتى أن أتكلم؛ عندما أحكي، يتملكني، في أحايين كثيرة، إحساس مشابه لإحساس الأطفال الصغار عندما يقومون بخطواتهم الأولى.

كان القمر، في اكتماله، يعمي أبصارنا. كانت العصافير تصرخ من شجرة لشجرة. وكان ثمة طنين يعبر الحقول. زحفنا في الغبار: زوج أفاعي.

أحياناً، في قمة كبريائه، كان يخاف على العالم أكثر من خوفه على نفسه.

رشو كاردي: تشكيلي سوري. من موليد عامودا، 1992، لأسرة فنية. اشتغل في التصميم الداخلي للمصاييح المعلقة في بيروت. يمارس التشكيل والرسم والنحت من خلال تكوين ذاتي، مقيم حالياً في آخن [ألمانيا]



كتاباته مؤارياً، منتخبا على كل التآويل: «المضمون، إجهله، المفتاح، لا توفر عليه، الأصوات، لا أصددها، كل هذا مفهوم، لاني، أنا بنفسي، كل هذا». [أكفا: يوميات]. [ترجمنا لكافكا، ها هنا، نصوصاً قلَّ رواجها في العربية، ذلك أنه الناشر والصحافة الثقافية ينزعان نحو نصوصه السردية الطويلة، بالخاص: الانساخت، المحاكمة، أميركا، القصر. لك هذا، ارتائيات تقدم صنعة عربية لكتابات كافكا غير المطروقة ترجمياً، أو المطروقة بدرجة: ما اسماء بعض النقاد

III. يوميات

12 كانون الثاني 1911 - ثمة أشياء كثيرة حول نفسي لم أدونها في هذه الأيام، في جزء منها بسبب الكسل، وفي جزء آخر منها خوفاً من أن أفصح معرفتي بذاتي.

هذا الخوف مبرر، فوحدها يمكن أن تُثَبَّتْ نهائياً عن طريق الكتابة تلك المعرفة بالذات التي تتحقق بأكثر قدر من النزاهة حتى في كل نتائجها الثانوية وبصدق مطلق. بيد أن هذا الأمر، إن لم يتحقق بهذا الشكل - وأنا في جميع الأحوال عاجز عنه - فإن التدوينات، باستجاباتها لغاياتها الخاصة، لا تكون، مع تفوق ما تُثَبَّتْ، إلا بديلاً لما نشعر به في شكله العام، ولكن بحيث يختفي الإحساس الحقيقي، في حين أن غياب أية قيمة لما دون لا يدرك إلا بعد فوات الأوان.

23 أيار 1913 - أموت ملأ هذا المساء، بحيث مشيت للحمام ثلاث مرات متتالية لغسل يدي.

06 كانون الأول 1921 - الاستعارات من الأمور التي تجعلني خائباً من الأدب.

24 كانون الثاني 1922 - حياتي تردد تجاه الولادة.

28 كانون الثاني 1922 - لربما بقيت رغم ذلك في كنعان، لكن قبل ذلك، وصلت منذ أمد طويل إلى الصحراء، وليست هاته الأمال إلا أوهاام خيبات أمل، خصوصاً مع أزمنة أنا فيها، حتى في الصحراء، من أكثر المخلوقات تعاسة، وكنعان تبدو لي بالضرورة كأرض وحيدة للأمل، فما من أرض ثالثة للبشر.

IV. توقيعات

الطريق الحقيقي يمر عبر جبل لا يكون ممدوداً بارتفاع، ولكن بالتمام على سطح الأرض. كما لو كان ممدوداً للتعثر أكثر من كونه للتحطيط.

كل العيوب البشرية تتجلى في عدم القدرة على الصبر، في طبيعة قبل الأوان مع المسارات المنهجية، في ما يشبه سياجاً يحيط بظواهر الأشياء.

ثمة لدى البشر خطيئتان كبيرتان، تتفرع عنهما باقي الخطايا بكاملها: عدم القدرة على الصبر والكسل. عدم القدرة على الصبر جعلهم يُطْرَدُونَ من الفردوس، أما الكسل فيحول دون عودتهم إليه. ولربما لم تكن ثمة سوى خطيئة واحدة: عدم القدرة على الصبر. عدم القدرة على الصبر طردهم، عدم القدرة على الصبر يحول دون عودتهم.

كثير من أشباح الموتى لا يجدون لهم مَسَقَةً إلا في لحس أمواج نهر الموتى، لأن منبعه مناً ولأن له بُعْدٌ طعم بخارنا المالح. ساعتئذ يتوذب النهر، يغير مجراه ويلفظ الموتى ثانية نحو الحياة. لكنهم سعيدون، يبتهلون بصلوات الشكران ويتملقون الهاج.

بعد المرور بنقطة معينة، لا عودة. هي ذي النقطة التي ينبغي بلوغها.

اللحظة الحاسمة في النمو الإنساني تتحقق دائماً، لذلك فإن الحركات الروحية الثورية التي تعلن أن لا وجود لكل ما سبق على حق: لا شيء تحقق بعد.

الدعوة للنزال من بين أنجع وسائل غواية الشر. تماماً كما منازل النساء، والتي تنتهي في الفراش.

كلبة ننتة، ولودة بروعة.

كطريق في الخريف: ما إن نكنسه حتى تكسوه الأوراق الميتة.

هجمت الفهود على المعبد وافرغت إناء القرابين؛ هذا الأمر يتكرر دوماً؛ كما يمكن، في آخر المطاف، توقعه، مما يجعله جزءاً من الطقوس.

كما تمسك اليد الحجارة بقوة. ولكنها لا تمسك

للمجتمع، ولهذا السبب بالضبط، كما بسبب أهميته في التاريخ الكوني، يستحق منا كل التشجيع. اليوم - ولا أحد يستطيع إنكار الأمر - لم يعد ثمة إسكندر أكبر. والاعتقال، ثمة بعد من يجيده؛ ويمهر في قتل صديق من تحت خوان الوليمة بطعنة رمح. فكثير من الناس أيضاً يجدون أن مقدونيا بلد بالغ الصغر، بحيث يلغون فيليب، الوالد. لكن لا أحد، لا أحد مطلقاً، يستطيع قيادتهم نحو الهند. في ذاك الزمان، كانت بوابات الهند بعيدة المنال، إلا أن سيف الملك كان، على الأقل، يشير إلى الطريق نحوها. أما اليوم، فقد تم تنقل تلك البوابات الذائعة الصيت إلى مكان آخر، أبعد وأعلى؛ ولم يعد ثمة من يشير إلى اتجاهها؛ كثيرون يمتشقون السيوف، ولكن فقط للتلويح بها، أما النظرة التي ترغب في تتبعها، فتنبيه.

حقاً، وبعد ترو في الأمر، لربما كان الأفضل - كما هو حال بوسيفالوس - أن نغمس في قراءة كتب القانون، حراً، متخلصاً من سيقان الفارس على جنبيه، هادئاً قرب قنديلته، بعيداً عن زمجرات معارك الإسكندر، يقرأ ويقلب صفحات كتبنا القديمة.

بروميثيوس

ثمة أساطير أربع تحكي لنا قصة بروميثيوس: وفق أولها، قيد لصخرة في القفاس لخيانته الألهة الأكثر حظوة عند البشر، فأرسلت له الألهة نورا لتلتهم كبده المتجددة في شكل دائم. وفق ثانيها، فإن بروميثيوس، وهو يهرب في قمة ألمه من المناقير التي كانت تمزقه، راح يغوص شيئاً فشيئاً عميقاً في الصخرة إلى أن توحد معها في كتلة واحدة.

ووفق ثالثها، فإن خيانتها نسيت مع مر آلاف السنين، نسيتها الألهة.

ووفق رابعها، فقد تعب الجميع من هذا الأمر الذي فقد معناه. تعبت الألهة، تعبت النسور، وحتى الجرح التام تعباً. بقيت الصخرة المتعذرة الاستيضاح، فقد سعت الأسطورة لاستيضاح ما يتعذر استيضاحه. وبما أنها تولدت عن عمق الحقيقة، فعليها أن تعود لما يتعذر استيضاحه.

رسالة إمبراطورية

بعث لك الإمبراطور - حسب ما يحكى - لك أنت خصوصاً، لك أنت، أيها الرعي البئيس، أيها الظل المغمور ببؤس في أقصى الأقصي، في أقصى ما يمكن عن الشمس الإمبراطورية، لك بالتحديد، بعث الإمبراطور برسالة من فراش موته. أما الرسول، فقد زعَّعَ عند الفراش ليهمس له بالرسالة؛ وكان الإمبراطور يهتم كثيراً برسالته، بحيث طلب من الرسول أن يكررها على مسامحة، وبإيماءة من رأسه أشار عليه أن ذاك هو حقاً منطوق كلامه. وأمام كل الجمع الهائل الذي حضر احتضاره - لأن كل الحيطان التي كانت عائناً وجدت نفسها منهارة، وكان كبار الإمبراطورية متحلقين فوق أذراج المداخل الفسيحة الممتدة في شكل دائرة - أمامهم جميعاً، بعث برسوله. وسرعان ما شق الرسول، كرجل قوي لا يكل، طريقه متدافعاً بهذه الذراع وتلك تناوباً، من خلال الحشد. وكلما لاقى مقاومة أشار إلى صدره الذي يتوسطه شعار الشمس. كان يتقدم بسهولة منقطعة النظير.

لكن الحشد عريض ومقيم في كل مكان. ولو انفتح الفضاء أمامه، أه كم كان سيطير الرسول. وأه كم كنت ستسمع عما قريب دق قبضتيه الرائع على باب بيتك. لكن يا للأسف. عبتاً بذل جهداً؛ كان دوماً يحاول أن يشق له معبراً بين أجنحة القصر؛ لكنه لن يتجاوزها أبداً، وحتى لو تآنى له أن يتجاوز هاته العقبات، فلن يكون أكثر تقدماً في مهمته؛ في هبوطه أذراج السلالم، ما زال عليه أن يصارع؛ وحتى إن وصل إلى الأسفل، فلن يكون أكثر تقدماً في مهمته؛ فعليها أن يقطع باحات القصر، وبعدها القصر الثاني المحيط بالأول، سلالم وباحات من جديد، ومن ثم قصر آخر، وهكذا دواليك خلال قرون وقرون؛ وحتى إن تيسر له، أخيراً، أن يندفع من خلال البوابة الأخيرة. وهذا الأمر أبداً، أبداً لن يحصل. سيجد أمامه العاصمة الإمبراطورية، قلب العالم، المدينة التي راكمت جبلاً من طمبيها. لا أحد يمكنه أن يُنقذ من ثمة، خصوصاً إذا كان يحمل رسالة من ميت. أما أنت، فإنك جالس بقرب نافذتك، وتحلم بالرسالة، حين يحل المساء.